العراقية
المجلات الاكاديمية العلمية
IRAQI Academic Scientific Journals
Al-Itqan Journal of Humanities
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/575
ISSN: 3105-1073 (OnIne)
المجلة معتمدة بالترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العراقية (46404-1410) في 2026/4/27

تفسير القرآن بالقرآن بين الطابع التعليمي عند محمد مكي الناصري والطابع الدعوي عند محمد راتب النابلسي قصة زكريا ويحيى في سورة مريم إنموذجا

م.م زينه علي حميد
الجامعة العراقية /كلية التربية للبنات

"Interpretation of the Qur'an by the Qur'an between the Educational Approach of Mohammed Makki Al-Nasiri and the Preaching Approach of Mohammad Ratib Al-Nabulsi: The Story of Zakariya and Yahya in Surah Maryam as a Model"

Zena Ali Hameed
Zeinaalihmed1234@gmail.com

الملخص

يتناول هذا البحث دراسة منهج تفسير القرآن بالقرآن من خلال نموذجين معاصرين مختلفين في التوجّه، هما: محمد مكي الناصري الذي يمثّل الطابع التعليمي في التفسير، ومحمد راتب النابلسي الذي يجسّد الطابع الدعوي. ويهدف البحث إلى بيان كيفية توظيف هذا المنهج في تفسير النص القرآني، والكشف عن أوجه التشابه والاختلاف بين هذين الاتجاهين، مع اعتماد قصة زكريا ويحيى في سورة مريم أنموذجًا تطبيقيًا لما تحمله من دلالات إيمانية وتربوية عميقة.وقد أظهرت الدراسة أن الناصري اعتمد أسلوبًا علميًا تحليليًا يركز على ربط الآيات وتوضيح المعاني بطريقة منظمة تهدف إلى التعليم والفهم الدقيق، بينما ركّز النابلسي على البعد الوعظي والتربوي في التفسير، من خلال ربط الآيات بواقع الإنسان وتوجيهه سلوكيًا وإيمانيًا. وخلص البحث إلى أن تفسير القرآن بالقرآن منهج مشترك بين المفسرين، إلا أن اختلاف التوجهات يؤدي إلى تنوع في الأداء التفسيري بين الطابع التعليمي والطابع الدعوي، مما يحقق تكاملًا في فهم النص القرآني وإبراز أبعاده المختلفة. **الكلمات الافتتاحية: تفسير القرآن بالقرآن/ محمد مكي الناصري/ محمد راتب النابلسي/ الطابع التعليمي/ الطابع الدعوي في سورة مريم .**

Abstract

This research examines the method of interpreting the Qur'an through the Qur'an itself by analyzing two contemporary models with different orientations: Muhammad Makki al-Nasiri, who represents the educational approach in interpretation, and Muhammad Ratib al-Nabulsi, who embodies the preaching and spiritual guidance approach. The study aims to explain how this method is employed in interpreting Qur'anic texts and to reveal the similarities and differences between these two approaches, using the story of Zakariya and Yahya in Surah Maryam as an applied model because of its profound educational and faith-based meanings.The study demonstrates that al-Nasiri adopted a scholarly and analytical style that focuses on connecting verses and clarifying meanings in an organized manner aimed at education and precise understanding. In contrast, al-Nabulsi emphasized the moral, spiritual, and educational dimensions of interpretation by relating the verses to human life and guiding people behaviorally and spiritually. The research concludes that interpreting the Qur'an by the Qur'an is a shared methodology among commentators; however, differences in orientation lead to diversity in interpretive performance between the educational and preaching styles, thereby achieving a more comprehensive understanding of the Qur'anic text and highlighting its various dimensions. Keywords:Interpretation of the Qur'an by the Qur'an/ Mohammed Makki Al-Nasiri/ Mohammad Ratib Al-Nabulsi/ educational approach/ preaching approach/ Surah Maryam .

المقدمة

يُعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أسمى وأدقّ مناهج التفسير، إذ يعتمد على بيان القرآن بعضه لبعض، مما يجعله أقرب إلى تحقيق الفهم الصحيح للنص القرآني، وأبعد عن التأويلات البعيدة أو الاجتهادات غير المنضبطة. وقد حظي هذا المنهج باهتمام كبير لدى المفسّرين قديمًا وحديثًا، إلا أن طرق توظيفه وأساليبه تختلف باختلاف توجهات المفسّرين وأهدافهم.ومن بين النماذج المعاصرة التي برزت في هذا المجال، نجد اتجاهين متميزين: الاتجاه التعليمي الذي يمثله محمد مكي الناصري، حيث يغلب عليه الطابع التحليلي المنهجي، والاتجاه الدعوي الذي يمثله محمد راتب النابلسي، والذي يركّز على البعد الوعظي والتربوي وربط النص بواقع الحياة. ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذين النموذجين في ضوء تطبيقهما لمنهج تفسير القرآن بالقرآن.وتُعدّ قصة زكريا ويحيى في سورة مريم نموذجًا غنيًا بالدلالات الإيمانية والتربوية، مما يجعلها مجالًا مناسبًا لتحليل اختلاف الأسلوبين في التفسير، والكشف عن ملامح كل منهج وأثره في توجيه المعنى القرآني.

اولا. أهمية البحث

١. إبراز قيمة منهج تفسير القرآن بالقرآن في فهم النصوص القرآنية.
٢. الكشف عن تنوع أساليب المفسرين المعاصرين في توظيف هذا المنهج.
٣. بيان الفروق بين الطابع التعليمي والطابع الدعوي في التفسير.
٤. إظهار الأبعاد التربوية والإيمانية في قصة زكريا ويحيى.
٥. الإسهام في الدراسات القرآنية التطبيقية من خلال نموذج تحليلي مقارن.

ثانيا. مشكلة البحث

تكمن مشكلة البحث في التساؤل الرئيس الآتي: **كيف يختلف توظيف منهج تفسير القرآن بالقرآن بين الطابع التعليمي عند محمد مكي الناصري والطابع الدعوي عند محمد راتب النابلسي من خلال قصة زكريا ويحيى في سورة مريم؟** ويتفرع عنه:

١. ما أبرز ملامح التفسير التعليمي عند الناصري؟
٢. ما خصائص التفسير الدعوي عند النابلسي؟
٣. ما أوجه التشابه والاختلاف بين المنهجين؟
٤. ما أثر كل منهج في توجيه فهم القارئ للنص القرآني؟

ثالثا: أهداف البحث

١. التعريف بمنهج تفسير القرآن بالقرآن وخصائصه.
٢. تحليل أسلوب محمد مكي الناصري في التفسير.
٣. دراسة منهج محمد راتب النابلسي في التفسير.
٤. تطبيق التحليل على قصة زكريا ويحيى في سورة مريم.
٥. إجراء مقارنة علمية بين الطابعين التعليمي والدعوي.

رابعا: أسباب اختيار البحث

١. أهمية الموضوع في مجال الدراسات القرآنية.
٢. الرغبة في فهم اختلاف مناهج التفسير المعاصرة.
٣. غنى قصة زكريا ويحيى بالدلالات التربوية والإيمانية.
٤. قلة الدراسات التي تجمع بين التحليل والمقارنة بين هذين النموذجين.
٥. الحاجة إلى ربط التفسير بالواقع التعليمي والدعوي.

خامسا: منهجية البحث

يعتمد هذا البحث على:

١. المنهج التحليلي: لتحليل النصوص التفسيرية لدى كل من الناصري والنابلسي.
٢. المنهج المقارن: لبيان أوجه التشابه والاختلاف بين الطابعين التعليمي والدعوي.

٣. المنهج الوصفي: في عرض المفاهيم الأساسية المتعلقة بتفسير القرآن بالقرآن.

المبحث أول الإطار النظري لتفسير القرآن بالقرآن

الفرع الاول: مفهوم تفسير القران

المطلب الاول: مفهوم التفسير في اللغة والاصطلاح

يُعدّ علم التفسير من أهمّ العلوم الشرعية التي ارتبطت بالقرآن الكريم ارتباطًا وثيقًا، إذ يُعنى ببيان معانيه والكشف عن مقاصده وهداياته. وقد اشتُقّ لفظ التفسير في اللغة من الفَسْر، وهو الإيضاح والكشف، مما يدلّ على وظيفة هذا العلم في إزالة الغموض وبيان المعاني الكامنة في النص القرآني. أمّا في الاصطلاح، فيُقصد به العلم الذي يُبحث فيه عن تفسير كلام الله تعالى، وبيان معانيه، واستنباط أحكامه، وفق ضوابط علمية دقيقة تراعي اللغة والسياق وأسباب النزول.وفي المقابل، يُعدّ القرآن الكريم أصل هذا العلم ومصدره الأساس، فهو كلام الله تعالى المنزل على النبي محمد ﷺ، المعجز في لفظه ومعناه، والمتعبد بتلاوته. وقد اشتُقّ لفظ القرآن في اللغة من القراءة، بمعنى الجمع والضمّ، أو التلاوة، وهو ما يعكس طبيعته كنصّ يُتلى ويُحفظ في الصدور. أمّا في الاصطلاح، فهو الكتاب الإلهي الذي نزل لهداية البشر وإخراجهم من الظلمات إلى النور، متضمنًا العقائد والأحكام والقيم.ومن هنا تتجلى العلاقة الوثيقة بين التفسير والقرآن، إذ لا يمكن فهم النص القرآني على وجهه الصحيح دون الرجوع إلى علم التفسير، الذي يمثّل الأداة المنهجية لفهم معانيه واستنباط دلالاته، مما يجعل هذا العلم ضرورة لفهم الخطاب الإلهي وتطبيقه في واقع الحياة.

اولا. التفسير في اللغة:

التفسير في اللغة راجع إلى معنى الإظهار والكشف وأصله في اللغة من التفسرة، الذي وهي القليل من الماء الذي ينظر فيه الأطباء فكما أن الطبيب بالنظر فيه يكشف عن علة المريض فكذلك المفسر، يكشف عن شأن الآية وقصصها ومعناها ، والسبب الذي أنزلت فيه ، وكأنه تسمية بالمصدر، لأن مصدر (فعل) جاء أيضا على (تفعلة) ، نحو جرب تجربة ، وكرم تكرمة ، وقال ابن الأنباري : قول العرب : فسرت الدابة وفسرتها، إذا ركضتها محصورة لينطلق حصرها وهو يؤول إلى الكشف أيضا[١].فالتفسير كشف المغلق من المراد بلفظه وإطلاق للمحتبس عن الفهم به ويقال : فسرت الشئ أفسره تفسيرا ، وفسرته أفسره فسرا ، والمزيد من الفعلين أكثر في الاستعمال ، وبمصدر الثاني منها سمى أبو الفتح بن جنى كتبه الشارحة حتى (الفسر)، وقال آخرون : هو مقلوب من (سفر) ومعناه أيضا الكشف ، يقال : سفرت المرأة سفورا ، إذا ألقت خمارها عن وجهها وهي سافرة ، وأسفر الصبح أضاء ، وسافر فلان ، وإنما بنوه على التفعيل، لأنه للتكثير ، كقوله تعالى : (يذبحون أبناءكم)، (وغلقت الأبواب) ، فكأنه يتبع سورة بعد سورة وآية بعد أخرى وقال ابن عباس في قوله تعالى : (وأحسن تفسيرا) أي تفصيلا وقال الراغب : الفسر والسفر يتقارب معناهما كتقارب لفظيهما ، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول ، ومنه قيل لما ينبئ عنه البول: تفسرة وسمى بها قارورة الماء وجعل السفر لإبراز الأعيان للأبصار فقيل سفرت المرأة عن وجهها، وأسفر الصبح[٢].

ثانيا: التفسير اصطلاحا

أن أفضل التعريفات وأقربها للصواب ما كان منطلقا من المعنى اللغوي للتفسير وذلك باستعمال عبارات بيان وشرح وكشف للتعبير عن معنى التفسير، لأن التفسير بيان وشرح للقرآن الكريم فما كان داخلا في بيان القرآن فهو من التفسير وما هو خارج نطاق البيان، فإنه لا يتم تضمينه في مصطلح التفسير، ومن هذه العريفات ما يأتي[٣]:

١. كشف معاني القرآن الكريم وبيان المراد.

٢. بيان كلام الله تعالى الذي أنزل على سيدنا محمد (صلى الله عليه وآله).

٣. بيان معاني القرآن الكريم .

اذن فالتفسير هو بيان القرآن الكريم ويخرج بالقرآن غيره من كلام الله تعالى الذي ليس بقرآن ككلامه لملائكته وكلامه لرسله وأنبيائه قبل النبي محمد (صل الله عليه واله). والحديث القدسي كما يخرج كلام غير الله سبحانه وتعالى، كما وعرَّفه الزركشي[٤] اصطلاحا بقوله: علمٌ يُعرف به فهم كتاب الله المنَزَّل على نبيه محمد، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه وحِكَمه[٥].

المطلب الثاني: تعريف القرآن في اللغة والاصطلاح

ثانيا : القرآن لغة

اختلف في لفظ القرآن اشتقاقاً أصله مهموزاً، أو غير مهموز على أقوال، فقد ذهب الأكبر إلى أنه مهموز لكنهم اختلفوا في اشتقاقه على قولين[٦]:

- الأول: هو مصدر من التلاوة كالغفران والشكران .

- الثاني: هو وصف على (فعلان) من القرء الناس) (بمعنى الجمع ، ويسمى (قرآناً) لجمعه السور والآيات والقصص والأوامر والنواهي وغيرها، وذهب غيرهم الى كونه غير مهموز، على قولين:
- الأول: من قرن الشيء بالشيء بمعنى ضمه وجمعه، وسمي القرآن كذلك لاقتران السور والآيات والحروف داخل دفتيه
- الثاني: من القرائن لأن آياته يصدق بعضها بعضاً.

وذهب آخرون إلى أنه غير مشتق وهو اسم علم موضوع للدلالة على الكلام المنزل على النبي (ص)، أجلى هذه الآراء وأقواها القول الأول لدليل يعضده من القرآن وهو قوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ)

رابعاً : القرآن اصطلاحاً:

هو اللفظ العربي المعجز الموحى به إلى النبي محمد بواسطة جبريل عليه السلام المنقول بالتواتر المكتوب في المصاحف المتعبد بتلاوته المبدوء بسورة الفاتحة المختوم بسورة الناس(٧).

الفرع الثاني: مفهوم تفسير القران بالقران

يُعدّ القرآن الكريم المصدرَ الأول للتشريع والهداية في الإسلام، وقد حظي بعناية كبيرة من العلماء في تفسيره وبيان معانيه. وتنوّعت مناهج التفسير عبر العصور، بحسب الأدوات العلمية والرؤى التي اعتمدها المفسّرون في فهم النص القرآني واستنباط دلالاته.ومن أبرز هذه المناهج تفسير القرآن بالقرآن، الذي يقوم على مبدأ أن آيات القرآن يفسّر بعضها بعضاً، إذ يُبيّن المجمل في موضع، ويُفصّل في موضع آخر، مما يجعل هذا المنهج من أدقّ وأوثق طرق التفسير لارتباطه المباشر بالنص نفسه.

المطلب الاول. تعريف تفسير القرآن بالقرآن

لقد تتابع أهل العلم على استعمال هذا الطريق من طرق التفسير والإشارة إليه سواء في كتب التفسير أو كتب علوم القرآن، بل وفي بعض كتب أصول الفقه لكنهم اكتفوا باستعماله وببيان صحته، وذكر بعض أنواعه والتمثيل له دون وضع تعريف أو حد له ولعل السبب في ذلك والله أعلم – يعود إلى أمرين(٨):

الأول: الاكتفاء بالتمثيل عن التعريف، وكما قيل بالمثال يتضح المقال.

الثاني: ارتباطه بمصطلح التفسير، ووجه هذا الارتباط أن تفسير القرآن بالقرآن نوع من أنواع التفسير وجزء منه فاكتفوا بتعريف الكل عن تعريف الجزء، فمتى تبين مصطلح التفسير واتضح يتبين معنى تفسير القرآن بالقرآن وذلك عن طريق تقييده بهذا النوع من التفسير ليخرج بقية أنواع التفسير ومصادره كتفسير القرآن بالسنة وتفسيره بأقوال السلف وتفسيره ما ورد في لغة العرب.ولمعرفة المراد بهذا المصطلح لا بد من معرفة معنى التفسير والتفسير قد اختلفت عبارات المعرفين له، فعرف بتعريفات كثيرة، وممن عرفه ابن حزي الكلبي، وأبو حيان، والزركشي بتعريفين مختلفين، والزرقاني وغيرهم، وأحسن هذه التعريفات ما كان منطلقاً من المعنى اللغوي وقد نص ابن الأعرابي على أن التفسير لغة: مأخوذ من الفشر، وهو الكشف عن المعطى وقال ابن فارس: الفاء والسين والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه.وعلى هذا فتعريف تفسير القرآن هو بيان القرآن، فما كان داخلاً في بيان القرآن الكريم فهو من التفسير، وما لم يدخل فليس من التفسير، وبما أننا نعرف التفسير بالبيان فتعريف تفسير القرآن بالقرآن اصطلاحاً هو بيان القرآن بالقرآن، لكن ينبغي أن تعلم أن البيان درجات وأنواع فهو يختلف قوة وضعفاً، وقرباً وبعداً، وظهوراً وخفاء، ومطابقة ومقاربة، كما سيتبين ذلك عند ذكر الأمثلة، والكل يقدر بقدره كما أن أنواعه مختلفة كذلك، فأعلاه البيان اللفظي، لكنه غير محصور فيه، إذ هو نوع من أنواع البيان(٩).

المطلب الثاني: أهمية تفسير القرآن بالقرآن

يُعدّ القرآن الكريم أوّل ما يُرجع إليه في بيان معانيه وتفسير آياته، إذ يتولّى بنفسه توضيح مقاصده من خلال تفسير بعضه ببعض، وذلك عبر جمع النصوص وربط الآيات في سياقٍ يرفع الإبهام ويُتمّ المعنى. وقد لفت القرآن الكريم أنظار العلماء إلى هذا المنهج، حين علّق وضوح الدلالة واكتمال المقصود على تدبّر الآيات والنظر في ترابطها، مما يدلّ على أن فهمه لا يتحقّق إلا من خلال استحضار نصوصه مجتمعة لا متفرّقة.

كما حثّ القرآن الكريم على التدبّر والتأمّل، باعتبارهما وسيلتين أساسيتين لفهم معانيه، قال تعالى: ﴿كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته﴾، وهو توجيه صريح إلى ضرورة إعمال النظر في الآيات وربطها ببعضها للوصول إلى دلالاتها الصحيحة. وبذلك يكون القرآن نفسه دليلًا على منهج تفسيره، ومصدرًا أصيلًا في بيان معانيه(١٠)ويُعدّ الرجوع إلى القرآن الكريم في تفسيره الطريق الأقوم لتجاوز الاختلاف ورفع النزاع، لأن الله تعالى هو الأعلم بكلامه ومراده، وهو أوّل من بيّنه لعباده. ومن هنا اتّفق المفسّرون – على اختلاف مناهجهم – على جعل القرآن أصلًا مقدّمًا في

التفسير، يستندون إليه في بيان المعاني وترجيح الأقوال، اقتداءً بالمنهج النبوي الذي رسّخ هذا الأسلوب في فهم النصوص.وقد أكّد عدد من العلماء هذه القاعدة، حيث يُعدّ تفسير القرآن بالقرآن من أصحّ طرق التفسير وأدقّها، نظرًا لما يتميّز به القرآن من وحدةٍ متكاملة وترابطٍ في معانيه، إذ يُبيّن المجمل، ويُخصّص العام، ويُقيّد المطلق في مواضع أخرى. ولذلك فإن اعتماد هذا المنهج يضمن الوصول إلى الفهم الصحيح، ويُجنّب الوقوع في الخطأ والزلل، لكونه قائمًا على تفسير النص بالنص، وهو ما يجعله أساسًا راسخًا في الدراسات التفسيرية[١١]، وقد اتضح في هذا التفسير مذهبه المتمثل في أن أعظم تفسير للقرآن المجيد هو القرآن نفسه، فالقرآن عنده يفسر بعضه بعضاً، ثم رسول الله ﷺ يقوم بالتأويل في الواقع، مع الأخذ بعين الاعتبار أنه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَام لم يخلف تفسيراً مدوناً أو محفوظاً[١٢].يتميّز منهج تفسير القرآن بالقرآن بخصوصية تجعله مختلفًا عن سائر مناهج التفسير، إذ يقوم على تفسير الآية بالاستعانة بنصٍّ آخر من القرآن نفسه، أي من جنسها ومن المصدر ذاته، دون اللجوء إلى نصوص خارجية. ويُعدّ هذا المنهج إقرارًا بأسلوب قرآني مميّز، يتجلّى في تناول المعنى الواحد في مواضع متعددة وبصيغ مختلفة، بحيث يُسهم تنوّع التعبير في توضيح المعاني واستكمال دلالاتها بما ينسجم مع المقاصد القرآنية.ويُنظر إلى هذا المنهج بوصفه طريقة تعتمد القرآن مصدرًا أصيلًا ووحيدًا لاستمداد المادة التفسيرية، الأمر الذي يمنحه خصوصية منهجية واضحة؛ إذ يُغني عن البحث في مصداقية المصادر الخارجية أو التحقق من أسانيدها، لكون القرآن وحيًا إلهيًا محفوظًا من التحريف. وهذا ما يجعل عملية التفسير أكثر دقة وثباتًا، لاعتمادها على نصٍّ قطعي الثبوت[١٣]كما أنّ التفسير، في جوهره، يقوم على نوعٍ من الاستبدال بين النص المفسِّر والنص المفسَّر، وهو ما قد يثير إشكالًا حين ينتمي النصّان إلى مستويين لغويين مختلفين، مما يخلق فجوة في الفهم. غير أنّ هذه الفجوة تضيق إلى حدّ كبير في منهج تفسير القرآن بالقرآن، لأن النصّين ينتميان إلى مصدر واحد، ويُربط بينهما وفق منهج علمي منضبط بعيد عن التعسّف، مما يُحقق قدرًا عاليًا من الاتساق في المعنى.ويعتمد هذا المنهج على مجموعة من الأدوات الإجرائية التي تميّزه، من أبرزها مراعاة السياق، والربط الموضوعي بين الآيات، بحيث يُفسَّر المجمل، ويُبيَّن المبهم، وتُستكمل الدلالات من خلال جمع النصوص المتعلّقة بالموضوع نفسه وبما أنّ القرآن الكريم هو منهج حياة الأمة، فإن الالتزام بهذا الأسلوب في تفسيره يُعدّ ذا أهمية بالغة، كونه يفضي إلى فهمٍ أدقّ وأقرب إلى مراد الله تعالى، ويُسهم في الوصول إلى التفسير الصحيح[١٤].

الفرع الاول: التعريف بالطابع التعليمي عند محمد مكي الناصري

الطابع التعليمي عند محمد مكي الناصري هو منهج تفسيري يهدف إلى تقديم معاني القرآن الكريم بأسلوب مبسّط ومنظم، يركّز على تسهيل الفهم لدى القارئ من خلال شرح الألفاظ وبيان المعاني بصورة واضحة بعيداً عن التعقيد والإطالة.ويقوم هذا الطابع على توظيف التفسير كوسيلة تعليمية، حيث يعتمد التدرّج في عرض الأفكار، ويراعي مستوى المتلقّي، مع التركيز على الفهم والاستيعاب وربط المعاني بواقع الحياة، مما يجعله قريباً من أسلوب التعليم والتربية أكثر من كونه طرحاً جدلياً أو وعظياً بحتاً.

المطلب الاول: الشيخ محمد مكي الناصري موجز حياته وعصره

يتّضح لمن يدرس حياة الشيخ الناصري تنوّع شخصيته ومسيرته؛ إذ جمع بين التعليم التقليدي والدراسة الجامعية الحديثة، كما تنقّل بين الاهتمام بالعمل السياسي عبر الصحافة ثم الابتعاد عنه لاحقًا. وعلى الصعيد العلمي، حاول الالتحاق بدار العلوم، ثم درس في الأزهر، قبل أن ينتقل إلى الجامعة المصرية وكلية الحقوق في سويسرا. وفي هذه الترجمة الموجزة، سيتم التركيز على أبرز محطات حياته وأهم مؤلفاته، ومنها تفسيره، مع بيان أثر الظروف السياسية في توجّهاته وحياته المهنية.

اولا. اسمه، نسبه، كنيته، لقبه وولادته

اسمه: محمد المكي بن محمد اليمني بن سعيد الناصري، نسبه: ينتمي إلى بني ناصر، وهم من الأشراف المعروفين بالنسب الجعفري (آل البيت).كنيته: أبو عبد الله (باعتباره من علماء أهل السنة والجماعة، وغالباً ما يُعرف باسمه المشهور (محمد المكي الناصري)، لقبه[١٥]:

- الشيخ الجامع: لجمعه بين العلوم الشرعية، الأدبية، والفلسفية، والقانونية.
- سندباد المغرب: لرحلاته العلمية والسياسية الكثيرة
- العلامة: بوصفه مفسراً وعالماً بارزاً.

ولد الشيخ محمد المكي الناصري بن محمد اليمني بن سعيد الناصري بمدينة الرباط بتاريخ ٢٤ شوال ١٣٢٤هـ موافق ١١ دجنبر ١٩٠٦م، وبحكم الوسط الأسري الذي ولد فيه، وجه محمد المكي إلى الدراسة والتحصيل، فأنهى دراسته الابتدائية عام ١٩١٨م، وانتقل إلى المعاهد الدينية لإتمام تعليمه[١٦].

ثانيا. اساتذته وتلاميذه

الأساتذة الذين درس عليهم أو تأثر بهم فأشهرهم[١٧]:

- أبو شعيب الدكالي.
- المدني بن الحسني.
- محمد السائح، وهؤلاء أشهر أساتذته من المغاربة.
- ثم هناك محب الدين الخطيب والشيخ الخضر الحسين وقد اتصل بهما في القاهرة.

تردد في الجامعة المصرية التي أصبحت جامعة الملك فؤاد ثم جامعة القاهرة حاليا على:

- طه حسين.
- أحمد أمين.
- زكي مبارك.
- عبد الحميد العبادي.
- حسن إبراهيم حسن ومصطفى عبد الرازق.
- وفي سويسرا اتصل بالأمير شكيب أرسلان.
- ومن المستشرقين الذين درس عليهم أندري لالاند الفرنسي
- ومن المستشرقين الإيطاليين نيلينو وجويدي.
- الألمانيين لتمان وبراجستراسر

أبرز تلامذته المباشرين والخريجين من معاهده[١٨]:

- الشيخ عبد الرحمن بنموسى
- القارئ المغربي الشهير الذي رافق تفسير الشيخ المكي الناصري بصوته في الإذاعة الوطنية.
- أحمد المكاوي: من القضاة والعلماء الذين درسوا وتأثروا بمنهجه الفقهي والإصلاحي.
- خريجو معهد مولاي الحسن بتطوان: تخرج على يده في هذا المعهد العشرات من رجال الحركة الوطنية، والأساتذة، والقضاة الذين ساهموا في بناء الإدارة والتعليم بالمغرب بعد الاستقلال.

ثالثا. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

يُعدّ محمد المكي الناصري من أبرز الأعلام الفكرية والعلمية في المغرب خلال القرن العشرين، إذ اتجه منذ وقت مبكر إلى طلب العلم والتوسع في معارفه، فبعد أن أنهى تعليمه الثانوي سنة ١٩٢٦م، تطلّع إلى استكمال دراسته خارج المغرب، متوجّهًا نحو مصر التي كانت آنذاك مركزًا للحركة الفكرية والثقافية في العالم العربي، فسافر إلى القاهرة في شهر صفر سنة ١٣٤٦هـ [١٩] وقد سعى للالتحاق بمدرسة دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعي، غير أن القوانين المعمول بها في المؤسسات التعليمية المصرية آنذاك حالت دون قبوله ضمن الطلبة المصريين، فاتجه إلى الدراسة في الأزهر الشريف، الأمر الذي أسهم في توسيع معارفه العلمية وصقل شخصيته الفكرية. [٢٠]وقد انعكست هذه الرحلة العلمية على مكانته الفكرية والعلمية، فبرز بوصفه عالمًا ومربيًا ومصلحًا، حيث اشتغل بالتدريس في عدد من المعاهد العلمية، منها المعهد الحر، ومعهد مولاي الحسن، ومعهد مولاي المهدي بمدينة تطوان، وأسهم من خلال هذه المؤسسات في تكوين أجيال من الطلبة ونشر الفكر الإسلامي الوسطي كما شارك في العديد من المؤتمرات والملتقيات العلمية في العالم الإسلامي، وهو ما عزّز حضوره العلمي والفكري بين علماء عصره.وتقديرًا لمكانته العلمية وكفاءته الفكرية، أُسندت إليه عدة مناصب رسمية بعد استقلال المغرب، فعُيّن سفيرًا للمغرب في ليبيا، ثم عاملًا على إقليم أكادير سنة ١٩٦٣م لفترة من الزمن، قبل أن يتولى منصب وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية في سبعينات القرن العشرين كما عُيّن رئيسًا للمجلس العلمي للرباط وسلا، ثم أمينًا لرابطة علماء المغرب عقب وفاة الأستاذ عبد الله كنون سنة ١٤٠٩هـ، فضلًا عن عضويته في أكاديمية المملكة وتكشف هذه المناصب عن الثقة الكبيرة التي حظي بها لدى الدولة والأوساط العلمية، كما تعكس ما كان يتمتع به من منزلة رفيعة وثناء واسع بين العلماء والمفكرين. [٢١].

رابعا. مؤلفاته ووفاته

للناصري الكثير من الأبحاث والمؤلفات في مرحلة الاحتلال منها[٢٢]:

١. (إظهار الحقيقة وعلاج الخليقة)، من مناهضة الطرقية الي مقاومة الاحتلال، طبعة تونس ١٩٢٥.

٢. (حرب صليبية في مراكش) طبع بالقدس سنة ١٩٣١.

٣. (فرنسا وسياستها البربرية في المغرب الأقصى) طبع القاهرة سنة ١٩٣٢.

٤. (الأحباس الإسلامية في المملكة المغربية) دراسة دقيقة وافية للأوقاف في المغرب مع مقارنتها بالأوقاف في بقية العالم الإسلامي –طبع بتطوان سنة ١٩٣٥.

٥. (موقف الأمة المغربية من الحماية الفرنسية) عرض وتحليل لتاريخ الاحتلال الأجنبي في المغرب وكفاح الشعب المغربي للتخلص منه طبع بتطوان سنة ١٩٤٦ وقد ألحقت به بحوث ومقالات أخرى مترجمة.

ومن مؤلفاته بعد الاستقلال:

١. نظام الفتوى في الشريعة والفقه. طبع ندوة «الشريعة والفقه والقانون»

وقد توفي الشيخ الناصري يوم الثلاثاء ٩ ماي ١٩٩٤م بالرباط، عن سن تناهز ٨٨ سنة[٢٣].

المطلب الثاني: الطابع التعليمي في تفسير محمد مكي الناصري وأهميته

الطابع التعليمي لتفسير القرآن الكريم هو المنهج الذي يهدف إلى نقل المعارف القرآنية وفهمها وتطبيقها، وقد تطور هذا الطابع بشكل ملحوظ خاصة في عصر التابعين وما بعده، ليتحول من مجرد إيضاح مفردات غامضة إلى منظومة علمية شاملة[٢٤].يتجلّى اهتمام محمد مكي الناصري بالطابع التعليمي في التفسير منذ بداياته الأولى، إذ اتجه إلى تقديم دروس في تفسير القرآن الكريم داخل المساجد، معتمداً أسلوباً مبسّطاً يهدف إلى تعليم الناس معاني القرآن وتقريبها إلى أذهانهم. وقد حرص في هذه المرحلة على أن يكون التفسير وسيلة تعليمية مباشرة، تراعي مستوى المتلقين وتساعدهم على الفهم التدريجي للنص القرآني.ومع تطوّر تجربته، ازداد تركيزه على الجانب التعليمي من خلال تنظيم دروسه واستمرارها، ثم نقل هذا النهج إلى الإذاعة عبر تقديم مجالس تفسيرية منتظمة وفق ترتيب السور. ويعكس هذا التحوّل عنايته بجعل التفسير منهجاً تعليمياً منظّماً، يهدف إلى نشر المعرفة القرآنية بأسلوب واضح وميسر يصل إلى أكبر شريحة ممكنة من المتعلمين[٢٥].يبرز اهتمام محمد مكي الناصري بالطابع التعليمي في التفسير بشكل أوضح مع تجربته في التفسير الإذاعي، إذ استجاب لدعوة الإذاعة الوطنية بالمغرب في ستينيات القرن العشرين لتقديم أحاديث يومية في تفسير القرآن الكريم موجهة إلى عموم الناس. وقد اعتمد في ذلك أسلوباً تعليمياً مبسطاً يتناسب مع مختلف فئات المجتمع، مما يعكس حرصه على إيصال المعاني القرآنية بطريقة واضحة وميسّرة تراعي احتياجات المتلقين.ومع اكتمال هذا المشروع، اتجه إلى توثيق هذه الدروس بجمعها في مؤلَّف مكتوب، أسوةً ببعض أعلام التفسير الإذاعي مثل محمود شلتوت وعبد الرحمن بن سعدي، فكان نتاج ذلك كتابه "التيسير في أحاديث التفسير". ويؤكد هذا المسار حرصه على ترسيخ الطابع التعليمي، من خلال تحويل المادة التفسيرية من دروس مسموعة إلى مرجع مكتوب يسهم في نشر الفائدة وتعميق الفهم[٢٦].

الفرع الثاني: التعريف بالطابع الدعوي عند محمد راتب النابلسي

يُعدّ محمد راتب النابلسي من أبرز الدعاة المعاصرين الذين كان لهم حضور واسع في مجال الدعوة الإسلامية، حيث قدّم تفسير القرآن الكريم بأسلوب يجمع بين البيان العلمي والتوجيه العملي. وقد اتسمت دروسه وخطبه بقدرتها على مخاطبة مختلف فئات المجتمع، من خلال لغة واضحة وأمثلة واقعية قريبة من حياة الناس، الأمر الذي جعل تفسيره أكثر تأثيراً وانتشاراً بين العامة والخاصة على حد سواء.وقد ظهر الطابع الدعوي في تفسيره بشكل جلي من خلال تركيزه على الجانب الإيماني والتربوي، إذ لم يقتصر على شرح المعاني اللغوية أو الأحكام، بل سعى إلى توظيف الآيات القرآنية في إصلاح السلوك الإنساني، وتعزيز القيم الأخلاقية، وربط النص القرآني بواقع الحياة اليومية. وهذا ما جعل تفسيره وسيلة فعالة في التوجيه والإرشاد، تسهم في بناء وعي ديني متكامل لدى المتلقين.

المطلب الاول: الشيخ محمد راتب النابلسي موجز حياته وعصره

الشيخ محمد راتب النابلسي هو داعية إسلامي معاصر من سوريا، وُلِد في مدينة دمشق سنة ١٩٣٨م في أسرة دينية عُرفت بالعلم والصلاح تلقّى تعليمه في مدارس دمشق، ثم التحق بمعهد إعداد المعلمين، وبعدها أكمل دراسته في جامعة دمشق حيث حصل على شهادة في اللغة العربية، واهتم بالدراسات الشرعية والتربوية منذ بداياته العلمية

اولا. اسمه، نسبه، كنيته، لقبه وولادته

اسمه: محمد راتب بن عبد الله النابلسي، نسبه: ينتمي لأسرة دمشقية عريقة، والده الشيخ عبد الله النابلسي، وكان من علماء دمشق البارزين، كنيته: أبو وسيم، لقبه: يُعرف بـ "الدكتور محمد راتب النابلسي" (داعية ومفكر إسلامي)، ولد محمد راتب عبد الغني النابلسي يوم ٢٩ يناير/كانون الثاني ١٩٣٨ في دمشق لأسرة سورية وصفها هو بأن "حظها من المال قليل ومن العلم كثير، وفيها انضباط اجتماعي شديد"، وكان والده –الذي لم يدركه– من علماء دمشق، وقد ترك له مكتبة كبيرة نهل مبكرا من معارفها المتعددة(٢٧).

ثانيا. اساتذته وتلاميذه

نشأ النابلسي في أسرة علمية، حيث كان والده الشيخ عبد الله النابلسي من علماء دمشق. وقد تلقى العلم على أيدي مجموعة من العلماء في دمشق، من أبرزهم(٢٨):

- والده الشيخ عبد الله النابلسي: الذي نهل من مكتبته ومخطوطاته الثمينة.
- الشيخ صالح العقاد: الذي أخذ عنه الحديث الشريف.
- الشيخ أحمد كفتارو: (مفتي سوريا الراحل) الذي نهل من علومه.
- الشيخ محمد صبحى الزركلي: وغيرهم من علماء دمشق.

نظراً لنشاطه الدعوي الطويل في مساجد دمشق (خاصة مسجد النابلسي والجامع الأموي) وتدريسه في الجامعات السورية (جامعة دمشق، كلية التربية، ومجمع أبي النور)، فإن تلاميذه ومستمعي دروسه كثيرون، ويمكن تقسيمهم إلى(٢٩):

- طلاب الجامعات: الذين درسوا عليه في كليات التربية والشريعة ومجمع أبي النور، حيث درّس العقيدة والإعجاز العلمي.
- رواد المساجد: الآلاف الذين حضروا دروسه الأسبوعية في العقيدة، التفسير، الحديث، والفقه والسيرة بدمشق.
- المتابعون عبر وسائل الإعلام: امتد تأثيره ليشمل شريحة واسعة من خلال برامجه التلفزيونية والإذاعية، وموقعه الإلكتروني الرسمي الذي ينشر محاضراته.

يشتهر النابلسي بوجود حلقة خاصة صغيرة من التلاميذ بمفهوم الملازمة الشخصية الدقيقة، بل يغلب عليه طابع التدريس العام والمحاضرات المفتوحة.

ثالثا. مكانته العلمية وثناء العلماء عليه

تخرج محمد راتب النابلسي من جامعة دمشق عام ١٩٦٤، ثم عمل محاضراً فيها حتى عام ١٩٩٩، وهو عام حصوله على درجة الدكتوراه من جامعة دبلن في إيرلندا. درّس مادة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة في كلية الشريعة وأصول الدين في جامعة دمشق، وكان قد أشرف على مجلة نهج الإسلام التي تصدرها وزارة الأوقاف في سوريا(٣٠).وفي عام ٢٠١٥م، تم منح الدكتور النابلسي الدكتوراه الفخرية من الجامعة الأمريكية المفتوحة المتخصصة في العلوم الإسلامية والعربية، تقديرًا لجهوده الكبيرة في خدمة الدعوة الإسلامية(٣١).بعد انطلاق الثورة السورية، صرح ببيان له عن موقفه الرافض لسياسات القمع والقتل التي ينتهجها النظام السوري ضد شعبه، حيث أيد مطالب الشعب السوري في الحرية والكرامة، غادر في عام ٢٠١٢ إلى الأردن، حيث ما زال يقيم فيها. هو عضو مجلس أمناء المجلس الإسلامي السوري، وعضو مؤسس في رابطة علماء الشام، وعضو الاتحاد العالمي لعلماء المسلمين، في آذار/ مارس ٢٠٢٥ عُين بموجب القرار الرئاسي (رقم ٨ لعام ٢٠٢٥) عضواً في مجلس الإفتاء الأعلى في سورية(٣٢).

رابعا. مؤلفاته

- تفسير النابلسي للقرآن الكريم عشرة مجلدات وموسوعة أسماء الله الحسنى أربعة مجلدات وموسوعة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة مجلدين وكتاب (أولادنا الورقة الرابحة الأولى) في مجلدين .
- وكتب : نظرات في الاسلام – تأملات في الاسلام – ومضات في الاسلام – مقومات التكليف – متى نصر الله – ربيع الإيمان – نداء الله للمؤمنين–قوانين من القرآن الكريم – منهج التائبين .
- وكتيبات : كلمات مضيئة ولقاءات مثمرة مع الشعراوي – الإسراء والمعراج – الهجرة – الحج – سماحة الاسلام وانسانية محمد " الرد على البابا ". وتم طبع بعضها اكثر من عشرين طبعة(٣٣).

المطلب الثاني: الطابع الدعوي في تفسير محمد راتب النابلسي وأهميته

الطابع الدعوي في التفسير هو اتجاه تفسيري يهدف إلى استخراج الهدايات والدلالات الدعوية من القرآن الكريم، وربط آياته بقضايا الدعوة، ومخاطبة واقع الناس وتوجيههم، بما يحقق إصلاح الفرد والمجتمع. يمزج هذا النوع بين دقة المفسر وحس الداعية، متجاوزاً مجرد التفسير اللغوي أو الفقهي للنصوص إلى استثمارها في الدعوة إلى الله، والتربية، والتهذيب.ليس من الميسور تحديد متى بدأ التفسير الدعوي للقرآن بطريقة منهجية محددة تتبنى هذا النوع أو الاتجاه في التفسير، وكذلك لا يمكن الجزم بأن هناك كتبا تفسيرية مؤلفة بمنهجية دعوية بحتة، أو معنية بحقائق دعوية بحتة، ولكن يمكن القول أن التفسير الدعوي للقرآن كاتجاه واهتمام نشأ من أول يوم نزل فيه القرآن على النبي ﷺ ؛ ذلك أنه لما كان القرآن هو الأساس الذي تقوم عليه الدعوة إلى الله والمنهج الذي تسير عليه، كان ذلك موجبا لأن تستر شد به الدعوة من أول يوم في جميع جوانبها المنهجية والمقاصدية[٣٤].بدأت ملامح الطابع الدعوي عند الدكتور محمد راتب النابلسي تتجلى بوضوح منذ عام ١٩٧٤، حين تولّى الخطابة والتدريس في مسجد جده عبد الغني النابلسي، حيث أسّس دروساً علمية منتظمة شملت العقيدة والتفسير والحديث والفقه والسيرة. وقد لاقت هذه الدروس إقبالاً واسعاً، مما أدى إلى توسّع نشاطه الدعوي ليشمل مساجد عدة في دمشق وريفها، إضافة إلى تدريسه وخطابته في الجامع الأموي.كما امتد نشاطه إلى إلقاء المحاضرات في المراكز الثقافية، وتدريس العقيدة للأئمة غير الناطقين بالعربية في مجمع أبي النور، فضلاً عن إسهامه في إدخال مادة الإعجاز العلمي ضمن مناهج معهد الفتح الإسلامي، من خلال كتابه "موسوعة الإعجاز العلمي"، مما يعكس اهتمامه بربط العلم بالدعوة[٣٥].وسعى النابلسي إلى ترسيخ العمل المؤسسي للدعوة، فأسّس معهدًا لتحفيظ القرآن الكريم أسهم في إعداد جيل من الشباب الملتزم علمياً وسلوكياً، ثم تُوِّجت جهوده بتأسيس ثانوية شرعية رسمية عام ٢٠٠٦، التي أصبحت مركزاً علمياً متميزاً. وقد تطوّر هذا المشروع ليُعرف بمجمع الشيخ عبد الغني النابلسي للعلوم الإسلامية، مع استمرار السعي لتأسيس جامعة إسلامية متكاملة.تبرز أهمية هذا المسار الدعوي في كونه جمع بين التعليم الشرعي والعمل المؤسسي، وأسهم في إعداد أجيال واعية تجمع بين العلم والأخلاق، مما يعكس منهجاً دعوياً متكاملاً يربط بين التفسير والتربية والواقع العملي[٣٦]. ويمكن تلخيص الخط الدعوي الذي انتهجه الدكتور محمد راتب النابلسي ونتلمّس الملامح العامة فيما يأتي[٣٧]:

١. المزج بين العقلانية والروحانية: اتسم منهجه بالجمع بين التفكير العقلي المستنير والتوجيه الروحي، مما أسهم في مخاطبة العقل والقلب معاً، ومعالجة ضعف الوعي والتوازن في واقع الأمة.

٢. ربط التفسير بالواقع المعاصر: حرص على تناول قضايا المجتمع اليومية (كالربا، والظلم، ومشكلات الشباب)، فجعل التفسير حيّاً ومرتبطاً بحياة الناس، لا مجرد طرح نظري.

٣. لأسلوب التربوي المؤثر: اعتمد على الأمثلة الواقعية والقصص الهادفة، مع هدوء في الطرح وحكمة واضحة، مما يعزز الفهم ويترك أثراً عميقاً في النفوس.

٤. ترسيخ المفاهيم الإسلامية الكبرى: ركّز على قضايا التوحيد، وتصحيح المفاهيم، وربط الإيمان بالعمل، مع تكرار القضايا الجوهرية لترسيخها في الأذهان.

٥. إعلاء شأن العلم والدليل: تميز بالاعتماد على الدليل الشرعي والمنطقي، والدعوة إلى طلب العلم، مع محاربة البدع والخرافات، وتقديم فهم عميق ومتوازن للدين.

الفرع الاول: التعريف بسورة مريم

سورة مريم هي السورة التاسعة عشر في القرآن الكريم، بلغ عدد آياتها ثماني وتسعين آية وتقع في الجزء السادس عشر، سبقت سورة مريم بسورة الكهف حسب الترتيب في المصحف الشريف، وقد احتوت سورة الكهف على ذكر قصص عجيبة كقصة أصحاب الكهف وطول لبثهم دون أكل أو شرب، وقصة موسى عليه السلام مع الخضر، وقصة ذي القرنين، وبدأت سورة مريم في ذكر قصص أشد عجباً قصة ولادة يحيى على كبر الوالد وعقم الوالدة، وقصة أشد عجباً وهي ولادة عيسى دون أب، فانتهاء السورة السابقة بنوع من القصص، وابتداء سورة مريم أيضاً على نحو مشابه من ذلك القصص العجيب، يعد وجه تناسب بين السورتين. سميت هذه السورة باسم مريم العذراء تخليداً لها، فقد ولدت المسيح بمعجزة فريدة من نوعها حيث أنها ولادة عذرية من غير أب حسب المعتقد الإسلامي والمسيحي وهي السورة الوحيدة التي سميت باسم امرأة، كذلك تعد مريم العذراء هي السيدة الوحيدة التي تم ذكر اسمها في القرآن، مما يُظهر ذلك عظم قدرها في الإسلام.

المطلب الاول: ترتيبها بين السور وسبب نزولها

تعدُّ سورة مريم إحدى سور القرآن الكريم التي نزلت في مكة المكرمة، بإجماع أهلِ العلم، ودليل ذلك أنَّ جعفر بن أبي طالب –رضي الله عنه– قرأ هذه السورة على صدرِ النجاشيّ عندما هاجر المسلمون إلى أرضِ الحبشة، ومعلومٌ أنَّ الهجرة إلى الحبشة كانت قبل الهجرة النبوية إلى المدينة

المنورة[٣٨]، ويبلغ عدد آياتِ سورة مريم ثمانيَ وتسعينَ آية، وقد جاءت في الجزءِ السادس عشر، وبالتحديد بعد سورة الكهفِ، وبناءً على ذلك فهي السورة التاسعة عشر بحسب ترتيب المصحف العثماني[٣٩]، أمَّا بحسبِ ترتيب النزول فقد نزلت سورة مريم بعد سورة فاطر[٤٠].سُمّيت سورة مريم بهذا الاسمِ بتوقيفٍ من رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ويرجع سبب تسميتها بهذا الاسمِ؛ إلى أنَّ الله –عزَّ وجلَّ– قصَّ فيها على المسلمينَ قصةَ السيدةِ مريمَ، أمَّ عيسى –عليه السلام–، ولورودِ اسمِ مريم ثلاثينَ مرةً فيها، وقيل أنَّها سُمّيت كذلك بسورة كهيعص[٤١].لقد ورد في السنة النبوية بعضٌ من الأحاديث النبوية التي تبيّن أسباب نزولِ بعض آياتِ سورة مريم، وفيما يأتي بيان ذلك[٤٢]:

١. الآية الرابعة والستون نزل قول الله تعالى: (وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ)، رداً على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– بعد أن سأل جبريل عن سبب عدم الإكثار من زيارته.

٢. الآية السادسة والستون نزل قول الله تعالى: (وَيَقُولُ الْإِنسَانُ أَإِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) ، في أُبيّ بن خلف حينَ أنكرَ البعثَ بعد الموتِ؛ حيث أخذ عظاماً بالية وفتَّها بينَ يديهِ، وقال: زعم محمّد أنَّا نُبعث بعد الموتِ.

٣. الآية السابعة والسبعون نزل قول الله تعالى: (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا) في العاص بن وائل إذ كان عليه دَيْنٌ للخبّابِ بن الأرتّ، فجاء الأخير يطلب دينه، فرفض العاص سدَّ الدينِ حتى يكفرَ الخباب بمحمّد، فردَّ الخبّاب أنَّه لن يكفر حتى يموت العاص فيُبعث، فردَّ العاص أنَّه إن ماتَ وبُعث فسيكونُ له مالٌ وحينها سيردَّ دينَ الخبّاب.

المطلب الثاني: مكان نزولها وفضلها

تُعدّ سورة مريم من السور المكية التي تحمل مكانة عظيمة في نفوس المسلمين، إذ نزلت في المراحل الأولى من الدعوة الإسلامية، وكان الصحابة رضي الله عنهم يحرصون على حفظها وتعلّمها منذ بدايات الإسلام. وقد ورد ذكرها ضمن السور التي وصفها عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بأنها من "العتاق الأول"، أي من السور القديمة التي نزلت مبكرًا وتميزت بمضامينها الإيمانية العميقة.ومن أوجه فضل سورة مريم أنها اشتملت على قصص عدد من الأنبياء والصالحين، مثل قصة السيدة مريم عليها السلام، ونبي الله زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم عليهم السلام، مما يعزز قيم الإيمان والصبر والثقة بالله تعالى. كما أبرزت السورة جانب الرحمة الإلهية والقدرة الإلهية في تحقيق المعجزات والاستجابة للدعاء[٤٣].وقد ارتبطت السورة بموقف مؤثر في التاريخ الإسلامي أثناء هجرة المسلمين إلى الحبشة، عندما تلا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه مطلع السورة أمام النجاشي، فتأثر بها وبكى هو وأساقفته لما سمعوا ما فيها من معانٍ عظيمة تتعلق بالسيدة مريم ونبي الله عيسى عليه السلام، وهو ما يعكس قوة تأثير السورة وبلاغتها.كما تناولت السورة قضايا العقيدة والتوحيد والبعث والحساب بأسلوب مؤثر، ومن أبرز آياتها قوله تعالى:﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾، وهي الآية التي دفعت بعض الصحابة إلى شدة التأثر والخشية من الله تعالى، لما تحمله من تذكير بالآخرة والحساب.وتتميّز سورة مريم كذلك بأسلوبها البلاغي الهادئ والمؤثر، إذ تجمع بين الترغيب والترهيب، وتبعث الطمأنينة في النفس من خلال التأكيد على رحمة الله تعالى بعباده المؤمنين، لذلك تعد من السور التي تُرسّخ القيم الإيمانية وتدعو إلى التفكر والتدبر في قدرة الله سبحانه وتعالى[٤٤].

الفرع الثاني: مقارنة بين منهجي الناصري والنابلسي لتفسير القصة

اتسم منهج محمد مكي الناصري في تفسير قصة زكريا ويحيى عليهما السلام بالوضوح والتنظيم، إذ عرض المعاني القرآنية بأسلوب سهل ومترابط يجمع بين دقة التفسير وحسن الصياغة. كما اهتم بربط الآيات بسياقها العام في السورة، مع إبراز الدلالات الإيمانية والتربوية في القصة، خاصة في دعاء زكريا وبشارة يحيى عليهما السلام. وقد تميز تفسيره بالطابع التعليمي والأسلوب الأدبي الواضح البعيد عن التعقيد، مما جعل معاني القصة أكثر قربًا وفهمًا للقارئ. وقد تناول الدكتور محمد راتب النابلسي هذه القصة في تفسيره بأسلوب دعوي وتربوي يهدف إلى ربط المعاني القرآنية بواقع الإنسان وحياته اليومية، مع التركيز على الجوانب الإيمانية والسلوكية المستفادة من الآيات.ويقوم منهج النابلسي في تفسير هذه القصة على تبسيط المعاني القرآنية وإبراز مقاصدها الدعوية، إذ لا يقتصر على شرح الألفاظ والمعاني اللغوية، بل يتوسع في بيان الدروس والعبر التي يحتاجها المسلم في حياته، مثل أهمية الدعاء، واليقين بالله تعالى، والصبر، وحسن الظن بالله. كما يعتمد على الربط بين النص القرآني والواقع المعاصر، فيجعل من القصة وسيلة للإصلاح والتوجيه وبناء القيم الإيمانية والأخلاقية لدى المتلقي ومن خلال تفسيره لقصة زكريا ويحيى عليهما السلام يظهر اهتمام النابلسي بالطابع الدعوي للتفسير، حيث يسعى إلى التأثير في القارئ أو المستمع وتحريك الجانب الإيماني في نفسه، بأسلوب سهل وواضح يجمع بين التفسير والمعالجة التربوية والاجتماعية للآيات القرآنية.

المطلب الأول : النداء الخفي والدعاء: من إية (١–٣) ﴿كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣)﴾

تُعدّ قصة زكريا ويحيى عليهما السلام في سورة مريم، ولا سيما في مطلعها (١–٣)، من أبرز القصص القرآنية التي تجلّت فيها معاني الرحمة الإلهية، والاستجابة الصادقة للدعاء، وإظهار القدرة المطلقة لله تعالى، كما في قوله سبحانه: ﴿كٓهيعٓصٓ (١) ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣)﴾.وقد تناول محمد مكي الناصري هذه الآيات في تفسيره التيسير في أحاديث التفسير بأسلوب تربوي وتعليمي واضح، يهدف إلى إبراز معاني الهداية والإيمان والتربية. إذ ركّز على بيان الدلالات القرآنية وربطها بالمقاصد العامة للقرآن الكريم، مبينًا أن افتتاح القصة بقوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ يعكس ظهور رحمة الله تعالى بعبده زكريا عليه السلام، واستجابته لدعائه بعد طول انتظار [٤٥].كما فسّر قوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ بأن الدعاء الخفي يدل على الإخلاص والخشوع، وهو أقرب إلى القبول، لأن العبد حين يناجي ربه سرًّا يكون أكثر صدقًا وتضرعًا وخضوعًا. وأكد أن دعاء زكريا عليه السلام لم يكن بدافع دنيوي، وإنما كان خوفًا على استمرار الرسالة وحفظ الدين من بعده، مما يبرز البعد العقدي والتربوي في دعائه [٤٦].أما محمد راتب النابلسي فقد اعتمد في تفسيره على إبراز البعد الدعوي والتربوي للقصة القرآنية، إذ يُعدّ توظيف القصة القرآنية من أهم الأساليب التي يعتمدها في تفسيره لما تحمله من تأثير إيماني عميق في النفوس. فقد ركّز على أن عرض قصة زكريا ويحيى عليهما السلام في سورة مريم يهدف إلى إبراز الدلالات الإيمانية المستفادة من أحداثها، وربطها بواقع الإنسان وحاجته الدائمة إلى الإيمان واليقين بالله تعالى. كما أوضح أن القصة القرآنية ليست مجرد سرد تاريخي، وإنما هي وسيلة للعظة والعبرة، إذ عرض القرآن من خلالها أحوال الأنبياء ومواقفهم لتكون نماذج هداية يُقتدى بها في الدعوة والخطاب [٤٧]ويظهر ربط النابلسي لهذه القصة بالواقع من خلال تركيزه على المعاني الإيمانية والتربوية التي يحتاجها الإنسان في حياته اليومية، إذ بيّن أن افتتاح القصة بقوله تعالى: ﴿ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾ يدل على أن القصص القرآني لم يأتِ لمجرد السرد، وإنما جاء للعبرة والتوجيه، ولتعزيز الثقة بالله تعالى في نفوس المؤمنين [٤٨]كما جاء تفسيره قائمًا على الجانب الوعظي والتوجيهي، من خلال بيان أثر الدعاء والصبر والثقة بالله تعالى، بأسلوب دعوي مؤثر يهدف إلى تقوية الصلة بالله. فقد أبرز معاني الدعاء واليقين، مبينًا أن دعاء زكريا عليه السلام يمثل نموذجًا للإخلاص والخضوع، خصوصًا في قوله تعالى: ﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾، حيث عدّ الدعاء الخفي أقرب إلى الإخلاص وأبعد عن الرياء، مما يعكس البعد التربوي في آداب الدعاء والتقرب إلى الله [٤٩]، كما أكد في موضع آخر أن العلاقة بين العبد وربه علاقة مباشرة بسيطة لا تحتاج إلى وسائط، وأن الله يسمع الدعاء ويستجيب له، سواء كان باللسان أو بالقلب، مما يعزز مفهوم القرب الإلهي والاستجابة الإيمانية [٥٠].

المطلب الثاني : ضعف الإنسان بين الواقع والأمل من آية (٤–٦)، ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا (٤) وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا (٦)﴾

تُبرز آيات قصة زكريا ويحيى عليهما السلام في سورة مريم (٤–٦) ملامح ضعف الإنسان أمام الواقع المادي، مقابل قوة الأمل واليقين برحمة الله تعالى، كما في قوله سبحانه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا... (٤) وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي... (٥) يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَ... (٦)﴾.في تفسير هذه الآيات، لم يقتصر محمد مكي الناصري على الجانب اللغوي والبياني، بل ركّز على الأبعاد التربوية والإيمانية التي تعكسها القصة. فقد أبرز أن دعاء زكريا عليه السلام في هذه الآيات يمثل نموذجًا في الإخلاص واليقين بالله، إذ عبّر عن ضعفه البشري بوضوح حين قال بوهن العظم واشتداد الشيب، ومع ذلك لم يفقد ثقته بربه، بل ظل متعلقًا برحمته رغم استبعاد الأسباب الظاهرة. كما أوضح أن استجابة الدعاء رغم كِبَر السن وعقم الزوجة تؤكد أن قدرة الله تعالى تتجاوز حدود المألوف، وأن على المؤمن أن يبقى متوكلًا على الله في جميع أحواله [٥١]وفي السياق نفسه، أبرز الناصري البعد الأخلاقي والتربوي في دعاء زكريا عليه السلام، حيث إن طلبه للولد لم يكن لأجل مصلحة دنيوية، وإنما خوفًا على استمرار الرسالة والدين، مع دعائه بأن يكون الولد صالحًا مرضيًا، مما يعكس اهتمام القرآن ببناء نموذج الإنسان الصالح المسؤول. ومن خلال ذلك يتضح أن تفسير الناصري يهدف إلى ربط النص القرآني بواقع الإنسان وتوجيهه تربويًا وإيمانيًا[٥٢]أما محمد راتب النابلسي فقد ركّز في تفسيره لهذه الآيات على إبراز معنى ضعف الإنسان أمام الواقع المادي مقابل قوة الإيمان والأمل بالله تعالى. فقد أوضح أن وصف زكريا عليه السلام لحاله بالضعف وكِبَر السن لا يعكس اليأس، بل يبرز صدق التوجه إلى الله، وأن الدعاء الخفي المقرون باليقين هو وسيلة المؤمن للتغلب على المستحيل. كما ربط النابلسي هذه المعاني بحياة الإنسان اليومية، مبينًا أن اليأس لا مكان له في قلب المؤمن ما دام متصلًا بربه[٥٣]ويُظهر النابلسي كذلك أن دعاء زكريا عليه السلام لم يكن طلبًا دنيويًا، بل كان مرتبطًا بخوفه على مستقبل الرسالة واستمرار الهداية من بعده، حيث طلب ولدًا صالحًا يرث النبوة والعلم، وهو ما يعكس بعدًا تربويًا مهمًا في تربية الأبناء على الإيمان وتحمل المسؤولية. ومن خلال هذا التفسير، يربط النابلسي القصة بالواقع الاجتماعي والأسري، مؤكدًا أن صلاح الذرية من أعظم النعم التي يسعى إليها المؤمن في حياته [٥٤].

وبذلك يتضح أن الناصري ركّز على التحليل التربوي والبياني للنص القرآني مع إبراز مقاصده الإيمانية، بينما اتجه النابلسي إلى توظيف القصة في بعدها الدعوي والواقعي لترسيخ الأمل، وتعزيز الثقة بالله، وربط النص بحياة الإنسان اليومية.

المطلب الثالث : البشارة والمعجزة الإلهية من آية ٧-١٠ ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا (٧) قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا (٨) قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا (٩) قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا (١٠)﴾

في آيات البشارة والمعجزة الإلهية في قصة زكريا ويحيى عليهما السلام (٧-١٠) من سورة مريم، تتجلى قدرة الله تعالى في تحويل ما يبدو مستحيلًا إلى واقع مشهود، كما في قوله سبحانه: ﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ... (٧) ... قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ... (٨) ... قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ... (٩) ... قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً... (١٠)﴾.في تفسير هذه الآيات، ركّز محمد مكي الناصري على بيان دلالة البشارة الإلهية بيحيى عليه السلام، ففسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ﴾ على أنها تجسيد لفضل الله تعالى الواسع وقدرته المطلقة على تحقيق ما يراه الإنسان مستحيلًا، إذ تتحول سنن الطبيعة أمام إرادة الله إلى أمر واقع، مما يعزز معنى الإيمان بقدرة الله المطلقة، كما أبرز الناصري في هذا السياق أن تعجب زكريا عليه السلام من البشارة لا يدل على ضعف الإيمان، وإنما يعكس إدراكه للأسباب الظاهرة مع تسليمه بقدرة الله فوق الأسباب، وهو ما يرسّخ مفهوم الإيمان بالغيب والثقة المطلقة بالله تعالى [٥٥].أما محمد راتب النابلسي فقد تناول هذه الآيات من زاوية دعوية إيمانية، مبينًا أن معجزة ولادة يحيى عليه السلام من أب شيخ كبير وأم عاقر تمثل درسًا عمليًا في التوكل على الله والثقة بقدرته المطلقة، حيث إن إرادة الله إذا تعلقت بشيء فإنها تقول له كن فيكون، دون أن تقف أمامها الأسباب المادية أو السنن الطبيعية [٥٦].ويضيف النابلسي أن هذا المشهد القرآني يهدف إلى غرس الأمل في نفس الإنسان، وتحذيره من الاستسلام لليأس أو الاعتماد على الأسباب وحدها، بل الدعوة إلى التعلق بالله تعالى في كل الظروف، باعتباره الفاعل الحقيقي وراء كل تحول في الحياة.كما يبرز في تفسير النابلسي البعد الوعظي من خلال توظيف القصة في بناء القيم الإيمانية والأخلاقية، إذ يستخلص من شخصية يحيى عليه السلام معاني الطهارة والحكمة وبرّ الوالدين، ليجعل منها نموذجًا تربويًا يُحتذى به في الواقع الإسلامي ويؤكد كذلك أن القصة القرآنية لا تُعرض بوصفها رواية تاريخية، بل كمنطلق للهداية والإصلاح وبناء السلوك الإيماني، وهو ما يوضح الطابع الدعوي الواضح في منهجه [٥٧].وبذلك يتبين أن الناصري ركّز على إبراز دلالة البشارة من زاوية إيمانية تفسيرية تُظهر قدرة الله ومقاصدها العقدية، بينما اتجه النابلسي إلى توظيف المعجزة في تعزيز الإيمان العملي، وترسيخ الثقة بالله، وربط القصة بواقع الإنسان وسلوكه اليومي.

المطلب الرابع : الصمت كعلامة إلهية ودلالة دوحية من آية ١٢ - ١٥ ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥) ﴾

في سياق الآيات (١٢-١٥) من سورة مريم، يتجلى البعد التربوي والأخلاقي في شخصية يحيى عليه السلام، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَٰبَ بِقُوَّةٍ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا (١٢) وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا (١٣) وَبَرًّا بِوَٰلِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا (١٤) وَسَلَٰمٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا (١٥)﴾.في تفسير هذه الآيات، أوضح محمد مكي الناصري أن قوله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ يدل على أن الله تعالى قد منح يحيى عليه السلام الحكمة والعلم في سن مبكرة، وذلك تكريمًا له وإعدادًا إلهيًا لتحمل مسؤولية الدعوة والرسالة. كما بيّن أن الصفات التي وردت في الآيات، مثل الحنان والزكاة والتقوى والبرّ بالوالدين، تعكس كمال شخصيته وصفاء نفسه، وتدل على نموذج إنساني متكامل أراد القرآن ترسيخه في بناء الإنسان الصالح [٥٨].أما محمد راتب النابلسي ركّز على الجانب التربوي لهذه الصفات، مبينًا أنها ليست مجرد أوصاف تاريخية، بل قيم تربوية مقصودة لتوجيه المجتمع إلى الاقتداء بها في تربية الأبناء وبناء الشخصية المؤمنة، بما يحقق التوازن بين العلم والأخلاق منذ الصغر.فقد ربط هذه الصفات بالواقع الاجتماعي، مبينًا أن منح يحيى عليه السلام الحكمة في صغره يدل على أن الصلاح لا يرتبط بالعمر، بل بالهداية الإلهية والاستعداد الإيماني. كما أكد أن صفات الحنان والطهارة والبرّ بالوالدين تمثل نموذجًا أخلاقيًا وتربويًا ينبغي الاقتداء به في بناء الأجيال، ويضيف النابلسي أن المجتمع لا يمكن أن يستقيم إلا بوجود جيل يتمتع بالإيمان والأخلاق والتواضع، بعيدًا عن الجبروت والعصيان، مما يجعل هذه القصة وسيلة دعوية لمعالجة اختلالات الواقع الإنساني المعاصر.ومن خلال هذا التوظيف الدعوي، يجعل النابلسي من قصة يحيى عليه السلام أداة تربوية تهدف إلى ترسيخ معاني الدعاء والصبر واليقين بالله، إضافة إلى أهمية تربية الأبناء على القيم الإيمانية، والثقة بقدرة الله تعالى في جميع شؤون الحياة [٥٩].

الخاتمة

تُعدّ قضية تفسير القرآن بالقرآن من أهم المناهج التفسيرية التي اعتمدها العلماء والمفسرون في فهم كتاب الله تعالى، لما يمتاز به هذا المنهج من دقة في بيان المعاني وربط الآيات بعضها ببعض، وإظهار وحدة الموضوع القرآني وتكامله. وقد حاول هذا البحث الوقوف على جانبين مهمين في التفسير المعاصر، هما: الطابع التعليمي عند محمد مكي الناصري، والطابع الدعوي عند محمد راتب النابلسي، من خلال دراسة قصة زكريا ويحيى عليهما السلام في سورة مريم أنموذجًا تطبيقيًا.وقد تبين من خلال الدراسة أن الناصري اتجه في تفسيره إلى إبراز الجانب التعليمي القائم على التوضيح والتبسيط وربط المعاني بالسياق القرآني واللغوي، مع اهتمامه بإيصال الفكرة بأسلوب علمي منظم يساعد القارئ على الفهم والتدبر. أما النابلسي فقد ركز على الجانب الدعوي والتربوي، إذ جعل من الآيات وسيلة لترقيق القلوب وربط الإنسان بربه واستخلاص العبر الإيمانية والسلوكية التي يحتاجها المسلم في حياته اليومية.كما أظهرت الدراسة أن قصة زكريا ويحيى عليهما السلام تمثل نموذجًا قرآنيًا غنيًا بالدلالات الإيمانية والتربوية والدعوية، إذ تجمع بين معاني الدعاء واليقين والصبر والرحمة الإلهية، مما جعلها مجالًا مناسبًا لإبراز الفروق المنهجية بين المفسرين. ورغم اختلاف الأسلوب بين الناصري والنابلسي، إلا أن كليهما اتفقا على مركزية القرآن الكريم في الهداية والإصلاح والتوجيه.

الاستنتاجات والتوصيات

اولا. الاستنتاجات

١. يتضح من خلال الدراسة أن تفسير القرآن بالقرآن يُعد من أدق المناهج التفسيرية وأقواها في الوصول إلى المعنى الصحيح للآيات القرآنية، لأنه يعتمد على النص القرآني نفسه في توضيح بعضه بعضًا، مما يقلل من احتمالية الخطأ في الفهم أو التأويل، ويجعل المعنى أكثر ترابطًا واتساقًا داخل السياق القرآني العام.

٢. أظهر البحث أن محمد مكي الناصري قد اعتمد بشكل واضح على الطابع التعليمي في تفسيره، حيث ركّز على تقديم المعاني بصورة منظمة ومنهجية، مع العناية بشرح المفردات، وتوضيح العلاقات بين الآيات، وإبراز الجوانب اللغوية والبيانية، مما يجعل تفسيره قريبًا من أسلوب التعليم الأكاديمي الذي يهدف إلى بناء الفهم الصحيح لدى المتلقي.

٣. بيّنت الدراسة أن محمد راتب النابلسي تميّز بالطابع الدعوي والتربوي في تفسيره، إذ لم يقتصر على بيان المعنى فقط، بل كان يربط الآيات بواقع الإنسان وسلوكه اليومي، ويستخرج منها العبر الإيمانية والتربوية، مع التركيز على تقوية العلاقة بين العبد وربه، وتحفيز المستمع أو القارئ على الالتزام بالقيم الدينية.

٤. تبين أن قصة زكريا ويحيى عليهما السلام في سورة مريم تمثل نموذجًا قرآنيًا غنيًا بالدلالات الإيمانية والتربوية، حيث تتضمن معاني الدعاء، واليقين برحمة الله، والصبر، والاستجابة الإلهية، إضافة إلى الدروس المتعلقة بالابتلاء والرحمة الإلهية، مما جعلها مادة مناسبة لإظهار اختلاف المناهج التفسيرية بين العلماء.

٥. إن اختلاف المنهجين بين الناصري والنابلسي لا يُعد تعارضًا في الفهم أو التفسير، بل هو تنوع منهجي يثري الدراسات القرآنية، ويساعد على تقديم القرآن الكريم بأكثر من زاوية؛ تعليمية تحليلية من جهة، ودعوية تربوية من جهة أخرى، مما يوسع دائرة الفهم ويزيد من أثر القرآن في حياة الفرد والمجتمع.

ثانيا. التوصيات

١. ضرورة الاهتمام بتعميق دراسة منهج تفسير القرآن بالقرآن في البحوث الأكاديمية، لما له من أهمية كبيرة في ترسيخ الفهم الصحيح للنص القرآني، مع التركيز على تطبيقاته العملية في تفسير القصص القرآني والموضوعات العقدية والتشريعية.

٢. يُوصى بالاستفادة من الطابع التعليمي الذي اعتمده محمد مكي الناصري في العملية التعليمية، من خلال إدخاله في مناهج التفسير في المدارس والجامعات، لما يتميز به من وضوح في العرض، ودقة في التحليل، وسهولة في إيصال المعلومة للطالب.

٣. من المهم توظيف الطابع الدعوي عند محمد راتب النابلسي في البرامج التربوية والإرشادية، لما له من تأثير كبير في ترسيخ القيم الإيمانية والأخلاقية، وربط الإنسان بكتاب الله من خلال أسلوب مؤثر قريب من الواقع.

٤. تشجيع الباحثين على إجراء دراسات مقارنة أوسع بين المفسرين المعاصرين، بهدف إبراز التنوع المنهجي في تفسير القرآن الكريم، وخاصة ما يتعلق بالقصص القرآني، لما يحمله من أبعاد تربوية وإيمانية متعددة يمكن الإفادة منها في الواقع المعاصر.

٥. الدعوة إلى الجمع بين الجانب العلمي التحليلي والجانب الدعوي التربوي في الدراسات القرآنية، بحيث لا يقتصر التفسير على الشرح النظري فقط، ولا على الوعظ فقط، بل يتم الدمج بينهما لتحقيق فهم متكامل للقرآن الكريم وإيصال رسالته بشكل أعمق وأكثر تأثيرًا في الفرد والمجتمع.

المصادر

١. أحمد الثعلبي. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م.

٢. أحمد بن محمد البريدي. تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٢، ٢٠٠٧م.

٣. آمنة أحمد عبد الرحيم دقامسة. منهج الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسيره "تفسير النابلسي: قراءة تطبيقية في الأصول والمقاصد"، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج ٩، العدد ٢، ٢٠٢٥م.

٤. أنور الجندي. الفكر والثقافة في المغرب الأقصى.

٥. علي بن أحمد بن محمد الواحدي. أسباب النزول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.

٦. العيد علاوي. استراتيجية الخطاب الديني عند الشيخ محمد راتب النابلسي، مجلة البدر.

٧. جعفر شرف الدين. الموسوعة القرآنية خصائص السور، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

٨. خلدون حمودة. السيرة الذاتية للدكتور محمد راتب النابلسي: شخصية مركبة لواقع معقد، منصة موضوعات منوعة، ٢٠١٢م.

٩. سعد وهيب علوان. تفسير القرآن بالقرآن (أصله وحجيته)، مجلة العلوم الإسلامية، مج ٢، العدد ٣٣.

١٠. طه جابر العلواني. تفسير القرآن بالقرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، الأردن، ٢٠٢٠م.

١١. عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس. الشيخ محمد المكي الناصري مفسرًا، مجلة الإحياء، المغرب، العدد ١٣.

١٢. علي كاظم هلال. الإنفاق العسكري وأثره في التنمية البشرية في العراق (٢٠٠٣–٢٠١٢)، مجلة الكوت للعلوم الاقتصادية والإدارية، جامعة واسط، العدد ٢٠، ٢٠١٥م.

١٣. محمد بن عبد الله الزركشي. البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل هاشم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧م.

١٤. محمد بن فهد بن عبيد الحربي. التفسير الدعوي للقرآن الكريم دراسة تأصيلية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٣٥، ٢٠٢٢م.

١٥. محمد سيد طنطاوي. التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر، ط١، ١٩٩٨م.

١٦. محمد كاظم الفتلاوي. تفسير القرآن بالقرآن مفهومه أنموذجه، مجلة آداب الكوفة، العدد ٥٥، ج١، ٢٠٢٣م.

١٧. محمد منير حجاب. تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٤م.

١٨. محمود فتحي. فضل سورة مريم وأسماؤها والأحاديث الضعيفة المتداولة بشأنها، ٢٠٢٤م.

١٩. محمد المكي الناصري. التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

٢٠. محمد مكي الناصري. تفسير سورة مريم في كتاب التيسير في أحاديث التفسير، الموسوعة القرآنية / quranpedia، 2026م.

٢١. محمد راتب النابلسي. علاقة الإنسان بربه بسيطة ولا تحتاج إلى وسطاء، منصة الجزيرة، ٢٠٢١م.

٢٢. موسوعة النابلسي. السيرة الذاتية للدكتور محمد راتب النابلسي.

٢٣. يسري حمدان عوض المحمدي. مراحل تدوين التفسير، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد ٢٩، ٢٠٢٣م.

٢٤. ترجمة محمد المكي الناصري. موقع تراجم.

٢٥. منصة الذاكرة السورية. الشخصيات: محمد راتب النابلسي.

هوامش البحث

---

(١) البرهان في علوم القران: بدر الدين بن محمد الزركشي(ت ٧٩٤هـ)، تحقيق محمد ابو الفضل هاشم، دار احياء الكتب العربية، ط١، ١٩٥٧، ج٢، ص١٤٦.

(٢) المصدر نفسه. ص ١٤٦.

(٣) محمد كاظم الفتلاوي. تفسير القرآن بالقرآن مفهومه انموذجه، مجلة آداب الكوفة، العدد ٥٥، ج١، ٢٠٢٣م، ص ١١٧.

[٤] هو محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، أبو عبد الله، عالم بفقه الشافعية والأصول، تركي الأصل، ولد بمصر سنة ٧٤٥ هـ، له تصانيف كثيرة في عدة فنون، منها: (الإجابة لإيراد ما استدركته عائشة على الصحابة) و (لقطة العجلان)، توفي سنة ٧٩٤ هـ. يُنظر: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد الحنبلي (٨/ ٥٧٢)، والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة (٥/ ١٣٣).

[٥] البرهان في علوم القرآن، للزركشي (١/ ١٣).

[٦] سعد وهيب علوان. مجلة العلوم الإسلامية، مج ٢، العدد ٣٣، تفسير القرآن بالقرآن (أصله وحجيته)، د. ت، ص ١٤٣.

[٧] المصدر نفسه. ص ١٤٣.

[٨] أحمد بن محمد البريدي. تفسير القرآن بالقرآن دراسة تأصيلية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٢، ٢٠٠٧م، ص ١٧.

[٩] المصدر نفسه. ص ١٨.

[١٠] رافع فرج محمد الحلبوسي. تفسير القرآن بالقرآن أهميته وحجيته، المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ٢٥، ٢٠٢٤، ص ٢.

[١١] المصدر نفسه. ص ٣.

[١٢] طه جابر العلواني. تفسير القرآن بالقرآن، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط١، الاردن، ٢٠٢٠م، ص ١١.

[١٣] رافع فرج محمد الحلبوسي.. مصدر سابق، ص ٤.

[١٤] المصدر نفسه. ص٥.

[١٥] ترجمة محمد المكي الناصري. موقع تراجم، انظر الرابط التالي: https://www.taraajem.com/persons/15423/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%A7%D8%B5%D8%B1%D9%8A?utm_source=chatgpt.com

[١٦] عبد الرزاق بن إسماعيل هرماس. الشيخ محمد المكي الناصري مفسرا، مجلة الاحياء ، المغرب، العدد ١٣، انظر الرابط التالي: https://share.google/MA242n916KyLslfjv

[١٧] المصدر نفسه.

[١٨] تفسير الشيخ محمد المكي الناصري، الموقع الرسمي الطريقة الناصرية بالمملكة المغربية، انظر الرابط التالي: https://www.naciriya.com .

[١٩] أنور الجندي، الفكر والثقافة... ص١٨٦.

[٢٠] القباج، الأدب العربي في المغرب الأقصى، ج ٢، ص٨٥ وما بعدها.

[٢١] سيرة الشيخ محمد المكي الناصري، ص١٨٩.

[٢٢] محمد مكي الناصري. اتحاد كتاب المغرب، موقع واي باك مشين، ٢٠١٦م، انظر الرابط التالي: https://share.google/35i860WTUnqknnX5C

[٢٣] تفسير الشيخ محمد المكي الناصري، الموقع الرسمي الطريقة الناصرية بالمملكة المغربية، مصدر سابق.

[٢٤] يسري حمدان عوض المحمدي. مراحل تدوين التفسير(تدوين التابعين للتفسير)، مجلة العلوم التربوية والإنسانية، العدد ٢٩، ٢٠٢٣م، ص ٣.

[٢٥] الناصري، التيسير في أحاديث التفسير، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٠٥هـ، ج ١، ص٥ .

[٢٦] المصدر نفسه. ص ٦.

[٢٧] الجزيرة نت. محمد راتب النابلسي.. داعية سوري أمضى نصف قرن في الدعوة للإسلام بأنحاء العالم. موسوعة الجزيرة نت، ٢٠٢٥م، انظر الرابط التالي: https://www.aljazeera.net/encyclopedia/2014/9/24

[٢٨] المصدر نفسه.

[٢٩] موسوعة النابلسي. السيرة الذاتية للدكتور محمد راتب النابلسي، للمزيد انظر الرابط التالي: https://share.google/kssA8qUb0mjTex2ZS،

(٣٠) منصة الذاكرة السورية، الشخصيات (محمد راتب النابلسي)، للمزيد انظر الرابط التالي: https://share.google/VQSbYn50VEiA5hQto

(٣١) المصدر نفسه.

(٣٢) منصة الذاكرة السورية. مصدر سابق.

(٣٣) موسوعة النابلسي. السيرة الذاتية للدكتور محمد راتب النابلسي، مصدر سابق.

(٣٤) محمد بن فهد بن عبيد الحربي. التفسير الدعوي للقرآن الكريم دراسة تأصيلية، مجلة معهد الإمام الشاطبي للدراسات القرآنية، العدد ٣٥، ٢٠٢٢م، ص ١٣٣-١٣٤.

(٣٥) موسوعة النابلسي. السيرة الذاتية للدكتور محمد راتب النابلسي، مصدر سابق.

(٣٦) المصدر نفسه.

(٣٧) خلدون حمودة. السيرة الذاتية الدكتور محمد راتب النابلسي: شخصية مركبة لواقع معقد ، منصة موضوعات منوعة ، ٢٠١٢م، ص ١.

(٣٨) محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط للقرآن الكريم، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط١ ،١٩٩٨، مصر، ج٩، ص ٩.

(٣٩) أحمد الثعلبي. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، دار إحياء التراث العربي، لبنان، ط١، ٢٠٠٢م، ج٦، ص ٢٠٥.

(٤٠) جعفر شرف الدين، الموسوعة القرآنية خصائص السور، دار التقريب بين المذاهب الإسلامية، لبنان، ط١، ١٤٢٠ م، ج٥، ص ١٨٩.

(٤١) محمد سيد طنطاوي. مصدر سابق، ص٩.

(٤٢) علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي. أسباب النزول، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١م، ج١، ص ٣٠٨-٣١٠.

(٤٣) محمود فتحى. فضل سورة مريم وأسماؤها والأحاديث الضعيفة المتداولة بشأنها، ٢٠٢٤م، للمزيد انظر الرابط التالي: https://share.google/paJ281gVDhF8qWIA7

(٤٤) المصدر نفسه.

(٤٥) محمد مكي الناصري. تفسير سورة مريم في كتاب التيسير في أحاديث التفسير، الموسوعة القرآنية، ٢٠٢٦م، للمزيد انظر الرابط التالي: https://quranpedia.net/surah/1/19/book/27802

(٤٦) المصدر نفسه.

(٤٧) ينظر: محمد منير حجاب، تجديد الخطاب الديني في ضوء الواقع المعاصر، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ٢٠٠٤، ٢٩١.

(٤٨) آمنة أحمد عبد الرحيم دقامسة. منهج الدكتور محمد راتب النابلسي في تفسيره "تفسير النابلسي: قراءة تطبيقية في الأصول والمقاصد، مجلة قيس للدراسات الإنسانية والاجتماعية، مج ٩، العدد ٢، ٢٠٢٥م، ص ١٦٢٩.

(٤٩) العيد علاوي. إستراتيجية الخطاب الديني عند الشيخ محمد راتب النابلسي، مجلة البدر، ص ٢٩٩-٢١٠٠.

(٥٠) محمد راتب النابلسي. علاقة الإنسان بربه بسيطة ولا تحتاج إلى وسطاء، منصة الجزيرة،٢٠٢١م، انظر الرابط التالي : https://www.aljazeera.net/programs/shariah-and-life/2021/5/9

(٥١) محمد مكي الناصري، التيسير في أحاديث التفسير (تفسير سورة مريم)،

(٥٢) محمد المكي الناصري. التيسير في أحاديث التفسير، دار الغرب الإسلامي، ج٤، ط١، لبنان، ١٩٨٥م، ص ٢٥-٢٦.

(٥٣) محمد راتب النابلسي. علاقة الإنسان بربه بسيطة ولا تحتاج إلى وسطاء، مصدر سابق.

(٥٤) آمنة أحمد عبد الرحيم دقامسة. مصدر سابق، ص ١٦٢٩.

(٥٥) محمد مكي الناصري. تفسير سورة مريم في كتاب التيسير في أحاديث التفسير، مصدر سابق.

(٥٦) آمنة أحمد عبد الرحيم دقامسة. مصدر سابق، ص ١٦٣٠.

(٥٧) تفسير سورة مريم – الشيخ محمد راتب النابلسي، منصة بودكاست، ٢٠٢٣م، انظر الرابط التالي: Apple Podcasts: https://podcasts.apple.com/iq/podcast/id1723204973

(٥٨) محمد مكي الناصري. تفسير سورة مريم في كتاب التيسير في أحاديث التفسير، مصدر سابق.

(٥٩) آمنة أحمد عبد الرحيم دقامسة. مصدر سابق، ص ١٦٣٠.